

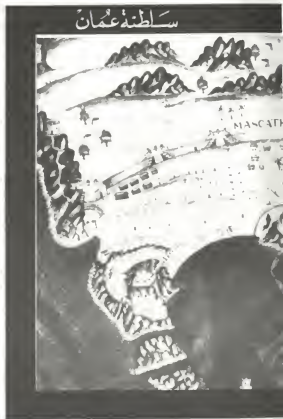
الاستحكامات الحربية بسلطنة عمان

بقلم الأستاذة الدكتورة
سعاد ماهر محمد

الاستحكامات الحربية



فِي بِلَادِ سُلْطَانَةِ عُضَامَاتٍ



كانت عمان وما تزال تشغل جزءا استراتيجيا على جانب كبير من الأهمية من شبه الجزيرة العربية. وقد وصفها المؤرخون القدامى منذ أن كانت تشغل الزاوية الشرقية من اليمن الخضراء فقالوا انها بلاد الملاحة^(١)، والشرع لأن أهلها أول من رفع شراعا في البحار واقتحم أعطار الأسفار فمارسوا الملاحة وأتقنوا علمها وكانوا الصلة بين الشرق والغرب.

كما جاء ذكر العثمانيين في آداب اليونان على أنهم أهل الملاحة ورواية الشرع، كذلك قيل أن عمان بلاد الأزد، الذين يقال لهم أزد عمان حتى قيل في تفسير قوله تعالى «وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا»^(٢). والمراد بالملك في الآية الكريمة، هو الجلندي ملك الأزد^(٣).

وكان طبعيا أن تحتل بلاد الملاحة والشرع هذه الأهمية الاستراتيجية لوقوعها على الخليج العربي وهو الحد الشرقي الأقصى للوطن العربي الذي يمتد كما يقول المحدثون من المؤرخين من المحيط الهادر الى الخليج الثائر، بل هي تشرف على مدخله عند خليج عمان ومضيق هرمز. على أن أهمية عمان لم تكن قاصرة على موقعها الاستراتيجي فحسب، بل ان تاريخها وماضيها التليد ليسجل دورها البارز الذي لعبته في تاريخ البشرية. فقد شهدت شواطئها مولد كثير من الحضارات والامبراطوريات وانتشرت على سفوح جبالها وفي بطون وديانها الديانات والفلسفات والمذاهب الدينية، بما لم تشهد غيرها من المناطق في العالمين القديم والحديث. فقد قامت على شواطئ الخليج العربي دول سومر وأكاد وبابل وعيلام. وجاست جيوش الاسكندر المقدوني شواطئ الخليج ثم قامت دولة بنو ساسان التي أتى عليها الاسلام. وسرعان ما أصبح الخليج العربي بحيرة داخلية لحلفاء العباسيين مفتاحها أرض عمان.

على أن هذا التاريخ الطويل المتصل الحلقات لعمان وشواطئ الخليج كان يتأرجح بين الازدهار والانحلال وذلك من الناحيتين السياسية والاقتصادية عبر تاريخها السحيق فهو ليس موضوع بحثنا، ولكننا نرى أن تقتصر في هذا المجال على التحدث عن ازدهار الحياة في عمان في عهد الدولة العباسية وعن النشاط التجاري الذي صاحب اتساع نفوذ كل من البصرة والبحرين وعمان في منطقة الخليج ثم انكماشه بعد أن قضى المغول على الدولة العباسية لاتصال ذلك بالبحر وركوبه وما يقام على شواطئه من حصون وقلاع تحميه وتدافع عنه.

وقد حدثنا كثير من الرحالة عما كانت عليه عمان وغيرها من مدن الخليج من الرخاء والازدهار في العهد العباسي، وإن كانت قصصهم لا تخلو في كثير من الأحيان من الجانب الأسطوري مثل قصص الرحالة ماركوبولو التي طالما هزت أطماع الأوربيين وداعبت خيالهم، فهبوا مسرعين بملاؤن سفنهم الشراعية بما عندهم من سلع تصلح للمقايضة ويولون وجوههم الى باب الشرق السحري وسراب الثروة يداعب جفونهم.

فلما سقطت الدولة العباسية في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي وتحولت التجارة الى طريق البحر الأحمر، نضبت منابع الثروة من دول الخليج وذهب الأغنياء وبقي الفقراء. على أن الوضع لم يستقر على ذلك فقد غيرته الاكتشاف الجغرافية التي قام بها الأسبان والبرتغال في نهاية القرن الخامس عشر وذلك باكتشاف رأس الرجاء الصالح الذي غير موازين القوى في العالم فبرزت خمس مراكز تجارة دول الخليج العربي مرة ثانية، وهكذا بدأت من دورات الحياة أو حلقات تاريخ الخليج الزاهرة. وقد استتبع ذلك في العصر الحديث اكتشاف البترول في دول الخليج فانتقلت من دورة زاهية الى دورة ذهية نسأل الله أن يستغلها العرب استفلا لا يعود عليهم بالنفع والرفاهية في حالهم ومستقبلهم.

وفضلا عما تقدم فإن لموقع الخليج العربي أهمية خاصة فهو ذراع بحري

للمحيط الهندي يتوغل في داخل الأرض الهابسة بقرب المسافة البهية عبر منطقة
 الغلال الخصيب، بين المحيط الهندي وبين البحر المتوسط، أو بين الشرق
 والغرب. على أن هذا الفراغ البحري يتألف من خليجين كبيرين، خليج
 خارجي هو خليج عمان وخليج داخلي هو الخليج العربي، ويصل بينهما مضيق
 هرمز. ولا يوجد بحر داخلي في العالم له نفس الأهمية التي يتمتع بها الخليج
 العربي وذلك بفضل موقعه على أحد الطرق الرئيسية بين الشرق والغرب. وبفضل
 قيام حضارات عريقة في القدم، على شواطئه أو على مقربة منه، مما جعله يقوم
 بدور تاريخي بارز كمنفذ بحري يربط تلك الحضارات بحضارات الشرق الأقصى
 القديمة في الهند والصين. وكانت التجارة بين الشرق والغرب تمر به دائما وكانت
 السفن تمخر ذهابا وإيابا تحمل المتاجر بين هذين العالمين.

وكانت الحركة التجارية في الخليج العربي تفوق في أهميتها ما كان الخليج يجود
 به من لؤلؤ ومرجان وأسمك وما كانت تجود به الأرض الممتدة على جانبيه من
 غلات زراعية كالحبوب والتمور، لهذا اكتسب الخليج العربي أهميته الخاصة
 كطريق تجاري بحري. وبرغم منافسة الطريق التجاري عبر البحر الأحمر الشديدة
 لتجارة الخليج، وبرغم فصر الهابسة التي تفصل بين مياه البحر الأحمر والبحر
 المتوسط وهي منطقة برزخ السويس التي تقصر بكثير عن المنطقة التي تفصل
 بين مياه الخليج العربي والبحر المتوسط (وهي منطقة الغلال الخصيب) هذا
 فضلا عن تعرض الملاحة في الخليج العربي لأخطار القرصنة التي اشتهرت بها
 القبائل العربية والفارسية التي كانت تسكن سواحله، وبرغم كل ذلك فإن تجارة
 الخليج كانت تبلغ ثلاثة أضعاف تجارة البحر الأحمر في كثير من الأوقات.

ومن ثم فقد كان هذا هو السبب الرئيسي في اهتمام البلاد البحرية العظمى
 التي حملت سفنها تجارة أوروبا عبر انبحار، به، وخاصة البرتغال التي اهتمت
 به أولاً ثم احتلته ثانيا، وتلتها بعد ذلك بريطانيا.

على أننا لم نقصد بهذه المقدمة الوجيزة أن نشرح أو نصف في توسع أهمية

عمان من الناحية الاستراتيجية أو نعدد فضل الخليج العربي على العالمين الشرق والغربي كطريق للمواصلات البحرية أو كطريق للتجارة العالمية، فليس هذا بمجالنا، ولكنه كان علينا أن نرُجّ عليه في إلمامة سريعة توضح للقاريء السبب في كثرة انشاء الاستحكامات الحربية في هذه المنطقة والتي لم يحظ بها اقليم آخر في العالم الشرق والغربي على حد سواء.

عل أن المتصدي للكتابة في هذا الموضوع ونعني به الاستحكامات الحربية لابد له أن يدرس في شيء من الابداز ثلاث نقاط كقاعدة أساسية يستطيع أن يقيم عليها تلك الاستحكامات وهي :-

أولاً : تضاريس المنطقة بما تحويه من مرتفعات ووديان وشواطئ وسهول.

ثانياً : التقسيمات الادارية التي تفصل بين منطقة وأخرى والتي تربط بين الساحل والداخل وبين الصحراء والوديان.

ثالثاً : الأحداث التاريخية الهامة في تاريخ المنطقة والتي أثرت تأثيراً مباشراً وغير مباشر في اقامة كثير من الاستحكامات للدفاع عنها ضد غارات المعتدين.

ولما كان الأمر كذلك فقد وجدنا لزاماً علينا أن نتناول كل نقطة من النقاط الثلاث السالفة الذكر في شيء من الابداز حتى نستطيع أن نبين مواقع ومواضع حصوننا وقلاعنا وأسوارنا وغيرها من الاستحكامات الحربية.

أولاً : تقع عمان الى الشرق من اليمن وتمتد حدودها الغربية من ظفار الحبوشي التي تقع في شرق حضرموت وتمتد شرقاً حتى رأس الخيمة والمشيعات الواقعة جنوب قطر على الخليج العربي. وتمتد عمان جنوباً من البحر العربي حتى الغلاء، وفي شمالها يقع الربع الخالي. وبالاختصار فإن اسم عمان كان يطلق على البلاد الواقعة بين خليج البصرة وبحر العرب ويحيط بها البحر من ثلاث جهات

وذلك قبل أن يقطع الاستعمار أوصالها.

وتتألف جبال عمان من سلاسل جبلية وعرة شديدة الالتواء تمتد في اتجاه عام من الشمال الى الجنوب بموازاة خليج عمان فهي تبدأ من رأس المستنم شمالا وهو الحد بين خليج عمان وخليج العرب وتمتد جنوبا موازية للساحل على شكل قوس تنتهي عند رأس الحد، وهو الجزء الفاصل بين خليج عمان وبحر العرب. وتعتبر هذه الظاهرة التي تتمثل في جبال عمان عنصرا غير مألوف في الجزيرة العربية لأن الالتواء فيها شديد للغاية.

ويعتبر الجغرافيون والجيولوجيون أن سلاسل جبال عُمان التي تمتد على شكل قوس جنوب شرقي شبه الجزيرة العربية كانت في الأصل امتدادا لجبال زاغروس أو فرعا من فروعها. أما عن السبب في انفصال جبال عُمان عن تلك السلسلة فقد تم بسبب هبوط حدث في قشرة الأرض في منطقة بوغاز هرمز. ويتمثل في مجموعة جبال عمان ثلاثة أنواع متباينة من التضاريس تعكس طبيعة تكوينها الجيولوجي وهي منطقة الصحور الجبلية أو منطقة رؤوس الجبال التي توجد في أقصى الشمال، وهي منطقة شبه جزرية تفصل بين مياه الخليج العربي ومياه خليج عمان وتشغل مساحة كبيرة يبلغ امتدادها من الشمال الى الجنوب نحو من (٩٥) كم. أما عرضها من الشرق الى الغرب فيبلغ (٣٥) كم. وقد تعرضت صخور هذه المنطقة للالتواء الشديد فتكسرت طبقاتها كما أنها تعرضت للتعرية مدة طويلة فمزقتها وحولتها الى سلسلة من المستنات والشرشات التي يفصل بعضها عن بعض أودية عميقة ذات جوانب وعرة شديدة الانحدار. وتشرف على هذه الأودية قمم جبلية عالية مثل جبل حارم وجبل قعوه وجبل رشيدى وجبل حجاب.

أما تضاريس السواحل فهي عبارة عن أرض غارقة حديثا توغلت فيها المياه وغمرت أجزائها المنخفضة على حين بقيت الأجزاء المرتفعة نائمة فوق سطح الماء. وهذا يتمثل بصفة خاصة في الجزر العديدة والخلجان الكثيرة والرؤوس

التي تفصل بينها عند رأس مسندم.

والظاهرة الثانية التي نشاهدها في هذه المنطقة تتمثل في مجموعة الأودية العارقة التي تنعمق بين جبال المنطقة على نحو ما تنعمق الفيوردات في جهات أخرى من العالم. وهذه الظاهرة عجيبة في عمان إذ لم نجد لها نظيرا في أية جهة أخرى في الخليج أو السواحل العربية جميعا. ومن أحسن أمثلة لذلك خليج الفستون (AlFistene) الذي لا يزيد مدخله على ٤٠٠ متر وتقوم الجبال على جانبيه على شكل حائط ارتفاعه (١٠٠٠) متر. وفيما وراء هذا المدخل الضيق يتسع الخليج.

ويتفرع من الخلجان العديدة التي تمتد في المنطقة أودية جانبية كثيرة مسدودة المداخل بسبب الحصى الذي يملؤها.

وتنقسم منطقة رعوس الجبال بصفة عامة الى ثلاثة وحدات متباينة منفصلة بعضها عن بعض، وتسير في اتجاه عام من الشمال الى الجنوب.

وتقع المنطقة الثانية من جبال عمان الى الجنوب مباشرة من منطقة رعوس الجبال وتمتد في الأراضي الداخلية التي تقع في مواجهة (خورفكان) حتى، النهاية الشمالية لمجموعة الجبل الأخضر. وهي تتألف من مجموعة من الصخور يطلق عليها مجموعة (سمائل) (Semail).

والأودية في هذه المنطقة ليست أقل منها في منطقة رعوس الجبال فهي عديدة ومتشعبة، ولعل أهم وديانها جميعا، هو وادي سمائل ووادي جيزي اللذان يمتدان من واحة البوريمي من جهة وبين صحار من جهة أخرى، وهما كغيرهما من أودية المنطقة تمتاز بضيقها في العادة وفي وسطها تبرز الكتل الصخرية على شكل رأسي.

وتتمثل المنطقة الثالثة في الجبل الأخضر وتشغل الأراضي التي تمتد الى الجنوب من منطقة الصخور النارية وتمتد غربا حتى تنوب في الأراضي الصحراوية في الداخل. ويعتبر الجبل الأخضر أعلى جبال عمان، إذ يبلغ ارتفاعه (٣٠١٨) مترا.

أما عن وديان عمان، فإن وادي اسماعيل في الشمال ووادي الحلقين في الجنوب يقسمان جبال الحجرين الى قسمين، حجر الغربي في الشمال وحجر الشرقي في الجنوب. وتعرف الأرض الواقعة بين ساحل البحر وحجر الغربي (الباطنة) التي تقطعها عدة وديان تنبع من ذرى الجبال وتنصب في البحر. وهذه المنطقة كثرة القرى في ربوع الوديان. وفي غرب الحجر الغربي تقوم منطقة (الظاهرة) وعمان الأصلية في الشمال والثانية في الجنوب، والحد الفاصل بينهما هو جبل (الكور) وسفوحه الممتدة الى الشرق وإلى الغرب. وفي نوب حجر الشرقي منطقتان أيضا هما الشرقية وجعلان في الجنوب. أما البلاد الواقعة على ساحل بحر العرب والممتدة من منطقة جعلان الى حدود حضرموت فتسمى (ظفار الحوضي) ويقابلها في بحر العرب جزائر كوربا موربا وجزيرة مصيرة.

وتمتاز وديان عمان بأنها شديدة الانحدار لأنها تقطع الجبال ومن ثم فهي وعرة وضيقة في ربوعها ومنها ما يصب في خليج عمان ومنها ما يصب في الصحراء. ولعل أهم وديان بلاد عمان وأكثرها طولاً واتساعاً هما وادي اسماعيل في الشمال الذي ينبع من (الرقبة) بين جبال حجر الغربي وحجر الشرقي ثم يمتد الى الغرب حيث ينتهي الى البحر شمالي مسقط. أما الوادي الثاني فهو وادي الحلقين الذي ينبع من (الرقبة) كذلك ويتجه جنوباً حتى ينتهي في بحر العرب قبالة جزيرة مصيرة. وتكثر المنابع والمياه الجارية في الجبال في منطقة جعلان وفي ساحل الباطنة وبعض مناطق عمان الأصلية، وهي التي تعرف بالأفلاج والتي تستخدم للسقي وللزراعة، كما يحتفظ بها في الآبار.

وكانت عمان تنقسم الى تسع مناطق ادارية لكل منها استحكاماتها الخاصة التي تناسب موقعها وتضاريسها وفيما يلي بيانها:-

(١) منطقة الباطنة ومعناها الداخلية أو الواطية وهي من أهم مناطق عمان، وتقع في الشمال على الساحل بين البحر وحجر الغربي. وهي عبارة عن سهل يبلغ طوله (١٥٠) ميلا وعرضه يتفاوت بين (١٠-١٥) ميلا وقاعدتها ميناء صحار التي كانت فيما مضى قاعدة عمان كلها.

(٢) منطقة حجر الغربي وتقع الى غرب الباطنة. وهي منطقة جبلية يبلغ طولها (١٦٠) ميلا وعرضها يتفاوت من (٤٠-٥٠) ميلا وأشهر بقاعها الجبل الأخضر أعلا جبال عمان، وقاعدة منطقة حجر الغربي (رستاق) التي تقع في وادي قاره.

(٣) منطقة حجر الشرقي وتقع الى الجنوب من الباطنة ومحاذية للبحر، وهي عبارة عن منطقة جبلية، تتحدر فيها الجبال بشدة نحو البحر ومن ثم فإن شواطئها غير صالحة للسكنى. وأهم بقاعها وادي اسماعيل الذي يبلغ طوله عشرة أميال وعرضه زهاء ميل واحد. وميناء حجر الشرقي (صور) الذي يقع الى شمال رأس الحد.

(٤) منطقة الظاهرة ومعناها الخارجة أو البارزة وتقع الى الغرب من حجر الغربي وقصبتها (عبرى)، وأهم وديانها الوادي الكبير، وبها يوجد أكبر جامع أباضي.

(٥) منطقة عمان الأصلية (أو الغربية) وتقع الى جنوب الظاهرة وقاعدتها (تروى) التي أُنشئ ابن بطوطة في وصفها في القرن الثامن للهجرة. ومن أهم معالمها قلعتها الحصينة وهي أشهر قلاع عمان على الإطلاق وهي عاصمة عمان الداخلية.

(٦) المنطقة الشرقية وتقع الى الغرب من حجر الشرقي وقاعدتها (اير).

(٧) منطقة جعلان وقد اشتق اسمها من اسم سكانها القدامى وتقع في جنوب الشرقية وتمتد على ساحل بحر العرب.

(٨) منطقة ظفار الجبوضي، نسبة الى السلطان راشد الجبوضي، وتقع على ساحل بحر العرب في نهاية حدود عمان الغربية، وعند حدود حضرموت الشرقية. وهي تمتد من رأس بوس الى قرية (خريفوط) على ساحل البحر ويبلغ طولها نحو (١٣٥) ميلا وعرضها (٢٠) ميلا وقاعدتها صلالة.

(٩) منطقة مسقط وتشمل ميناء مسقط وميناء مطرح وما يجاورهما. وتقع مسقط على الوادي الكبير الذي ينبع من جبال مسقط. وتلتقي مسقط بالبحر وترتفع الروابي الصغيرة وراءها على شكل الجدران التي يبلغ ارتفاعها أكثر من مائة متر. وهناك طريق ساحلي وعمر يربط مسقط بميناء مطرح في الشمال الذي تبعد عنها بمقدار ميلين، وهي أكبر من مسقط ولما اتصال بالداخل، فهي الميناء الذي يصدر منه الأمتعة الى الداخل ذلك أن البواخر ترسو في مسقط وتفرغ حمولتها ثم ترسل بالقوارب والسفن الى مطرح ومنه الى الداخل حيث أن ميناء مطرح مفتوح نحو الشمال الشرقي.

وقد أصبحت مسقط عاصمة عمان بعد أن سكنها آل سعيد عندما أسسوا دولتهم في عمان وشرق افريقيا منذ سنة ١٧٤١م. وهي تقع على خليج صغير يعرف باسمها تحيط به سفوح الجبال. وميناء مسقط مفتوح باتجاه الشمال الغربي والى الشرق منها توجد جزيرة مسقط الصغيرة.

أما عن تاريخ عمان، فإن الذي يعنينا منه، هي الفترات التي كان لها اتصال مباشر باقامة الحصون والقلاع. على أننا قد وجدنا أنه ليس من المعقول

أو المقبول أن نبداً تاريخ تلك الاستحكامات من فراغ، ومن ثم فقد تناولنا تاريخ عمان منذ الفتح الإسلامي، في نقاط أشبه ما تكون بعلامات الطريق أو صنعه الأُمَـيَّـال. (١).

ظلت عمان خاضعة للدولة الإسلامية منذ دخولها الإسلام في عهد الرسول ﷺ وحتى (سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٦ م) عندما قام عبد الله بن يحيى وأبو حمزة الخارجي بثورتها الأَبَاضِيَّة (٢) في عهد الخليفة الأموي مروان الثاني والتي انتهت بمقتلهم وإن لم يقض على مذهبهما. وهكذا أخذت عمان منذ النصف الأول من القرن الثاني للهجرة تتجنب أئمتها على الطريقة الأَبَاضِيَّة. وظلت الامامة تسير دون انقطاع تقريباً قرابة أربعة قرون حتى النصف الأول من القرن السادس للهجرة عندما استولى النُـبَـيْـهَانِيُون (٣) على مقاليد الحكم بعمان (٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م) وتسموا بالملوك.

وقد استمر حكم النُـبَـيْـهَانِيُون قرابة قرن ونصف من الزمان حتى قضى على ملكهم (٨٠٩ هـ / ١٤٢٦ م) وبعثت الامامة الأَبَاضِيَّة من جديد (٧) (٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م)، واستمرت قائمة منذ ذلك الوقت حتى (٩٦٨ هـ / ١٥٦١ م) حيث انقطعت لفترة تزيد عن ستين عاماً حتى أعادتها مرة ثانية إلى عمان أسرة اليعاربة سنة (١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م). وقد استمرت الامامة في أسرة اليعاربة أكثر من مائة عام رغم كراهية الأَبَاضِيَّة في حصر الامامة في أسرة واحدة. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ما قامت به أسرة اليعاربة من شجاعة وفضل وخاصة منذ أن قام على شئونها الامام ناصر بن مرشد اليعربي (٨) سنة ١٦٢٤م في صراعه ضد البرتغاليين وما كان له من فضل كبير في عودة القوة والنفوذ إلى عمان.

على أن قصر اختيار الأئمة على أعضاء قبيلة واحدة، ازداد وضوحاً في القرن الثاني عشر للهجرة عندما فقدت قبيلة اليعاربة الامامة وظهر على مسرح الأحداث ممثل قبيلة أخرى من آل بوسعيد هو الامام أحمد بن سعيد الذي

ظفر لنفسه بأعلى مراتب الشرف في الدولة وذلك سنة (١١٥٦هـ / ١٧٤٣م) (٩) وكان آل بوسعيد حتى ذلك الوقت، قبيلة صغيرة من الهنلبية غير ذات شأن تسكن داخل عمان، ولكنها استطاعت في فترة وجيزة أن تثبت وجودها ليس في عمان فحسب، بل وضمت إليها مسقط. وقد استطاع كبار آل بوسعيد الذين كانوا أقوى من امامهم الاسمي سعيد بن أحمد الذي استمر من عام ١١٩٨ الى ١٢١٨هـ سنة (١٧٨٣ / ١٨٠٣م) أن يحولوا اهتمامهم من المجال الروحي الى المجال الدنيوي، ومن داخل عمان الى الساحل، بل وغدت مسقط مركزاً لهم. ولما توفي سعيد (١٢١٨هـ / ١٨٠٣م) تولى الحكم بعده أخوه سلطان، ولكنه لم يحاول في السنة الثانية من حكمه أن يبذل أي جهد لعقد الامامة له (١٠). وهكذا ظلت سلطنة عمان منذ ذلك الحين لم يحل محل أحد من أسرة آل بوسعيد أن يظفر بتأييد ديني، واكتفت الأسرة بقوتها العسكرية والارتكان على ماليتهم من هبة وسمعة حسنة، ثم الاعتماد فيما بعد على التأييد الذي ظفروا به من حلفائهم الانجليز (١١). على أنهم سرعان ما فقدوا صلاتهم بالداخل الى حد كبير عندما استقروا بمسقط وركزوا جل اهتمامهم بالشؤون التجارية والبحرية ونسوا أو تناسوا الأرض التي تمت وترعرعت في ظل الامامة والتي أقام بها معظم رجالهم من ذوي النفوذ والسلطان (١٢).

ومنذ ذلك الحين لم يحل محل أحد من أسرة آل بوسعيد أن يظفر بتأييد ديني، واكتفت الأسرة بقوتها العسكرية والارتكان على ماليتهم من هبة وسمعة حسنة، ثم الاعتماد فيما بعد على التأييد الذي ظفروا به من حلفائهم الانجليز (١٣). على أنهم سرعان ما فقدوا صلاتهم بالداخل الى حد كبير، عندما استقروا بمسقط وركزوا جل اهتمامهم بالشؤون التجارية والبحرية ونسوا أو تناسوا الأرض التي تمت وترعرعت في ظل الامامة والتي أقام بها معظم رجالهم من ذوي النفوذ والسلطان (١٤).

البرتغاليون في عمان

لقد كانت الاكتشاف الجغرافية ثورة هائلة غيرت الكثير من معالم تاريخ البشرية، ليس من الناحية العلمية والاقتصادية فحسب بل ومن الناحية السياسية، فقد كان اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول الى الهند سنة ١٤٩٨م (١٥)، بداية الاستعمار الأوروبي الحديث، كما كان من نتائج ذلك الكشف تحول تجارة الشرق من طريق الخليج العربي والبحر الأحمر وغيرهما من الطرق البعيدة والبحرية الى ذلك الطريق البحري المباشر. فقد أثارت الأرباح الطائلة التي اختص بها المصريون والبنادقة من تجارة الشرق، الحقد في المسالك الأوربية مما دفعهم في التفكير في إيجاد طريق آخر لهذه التجارة. وكان أول من فكر في إيجاد طريق آخر، البرتغال عندما تولى عرشها الملك هنري الشهير بهنري الملاح، الذي رأى أن يصل الى الهند عن طريق غرب إفريقيا بدلاً من شرقها، فأرسل لهذا الغرض بعثاً بحرية الواحدة تلو الأخرى حتى استطاع الملاح البرتغالي بارثالميو دياز (Barthelemy Diaz) أن يصل الى جنوب إفريقيا حتى وصل الى خليج (الاجوا) وأطلق عليه «رأس الزوابع». وفي عهد الملك إيمانويل البرتغالي واصل الملاح فاسكودي جاما (Vasco de Gama) بمساعدة البحار العربي القدير (ابن ماجد) مواصلة استكشافات بارثالميو دياز، فوصل الى الزوابع وسماه تفالوا «رأس الرجاء الصالح» بعدما كابد مصاعب جمّة، استطاع التغلب عليها بفضل خبرة دليله البحار العربي ابن ماجد الذي كان يسترشد بكتاب (رهماني) الذي وضعه البحارة العرب الأول في علم البحار، ليصل الى الساحل الشرقي لإفريقية ومنه الى الهند.

ويصف مؤرخو حضرموت (١٦) القدامى رحلة فاسكودي جاما الى الهند فيقولون: وهبط (مكندة) حيث أخذ ما يلزمه من الزاد واستصحب معه بحاراً عربياً يدعى (أحمد بن ماجد) دله على الطريق الى (قليقوت) (١٧) (Calicut)، فوصل اليها بهداية ابن ماجد في ثلاثة وعشرين يوماً في ثلاث مسماريات (١٨)،

وذلك بعد انقطاع موسم الهند^(١٩). كما أرسل البرتغال (سنة ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) القائد فرانسوا والميدا بالأساطيل والرجال وأخضعوا كجرات وسواحل الدكن ومدينة سيراف^(٢٠) ودولة هرمر^(٢١). وأخذت سفنهم تمخر فيما بين البصرة وعدن وتعتدي على كل سفن مصر والعرب التجارية تنهبها وتستولي على ما فيها وبذلك انقطع طريق التجارة بين الهند ومصر خاصة بعد بناء البرتغال قلعة فزنا في ساحل الدكن.

وقد أدرك البرتغاليون أهمية اتخاذ مواني في الشرق الأفريقي كمحطات تمد سفنهم الناهية الى الهند بالعتاد والمؤن. وكان من أثر ذلك قيام (البدور الفاييز كابرال) سنة ١٥٠٠ بعدة جهود لمد النفوذ البرتغالي على الساحل الشرقي لأفريقيا، فنجح في السيطرة على موزمبيق ومد نفوذه الى (كلوه) بعد أن أرغم حاكمها على الاعتراف بالسيطرة البرتغالية. وهكذا أحرزت البرتغال انتصارا كبيرا في السيطرة على معظم مقاطعات الشرق الأفريقي فتم لها اخضاع زنجبار وبراده، وإن كانت منبسة قد كبدت قدرا كبيرا من الجهد والعناء. كذلك قرر البوركينا أن يقيم حامية ثابتة ودبرا للربان الفرنسي سكان في جزيرة سومطره، التي تمثل موقعا استراتيجيا ممتازا بالنسبة لأهداف الخطة البرتغالية فهي تقع في مواجهة الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية وفي منتصف الطريق تماما بين الخليج العربي وبين البحر الأحمر.

على أن الصراع الذي نشب في شرق افريقية لم يكن قاصرا على البرتغال والعرب فحسب، بل سارع العثمانيون بدورهم في الدخول في المعارك الناشئة: فقد انتهز (علي بك) وقوع البرتغال تحت الحكم الأسباني سنة ١٥٨٠م وقام بتحرير المسلمين هناك ضد البرتغال والانضمام الى الدولة العثمانية. وقد نجح فعلا (علي بك) في ضم بعض المقاطعات الافريقية كمبسة ومقديشيو وبات الى الدولة العثمانية، ولكن البرتغال ما كادوا يعلمون بما قام به (علي بك) حتى أسرع قائداهم توماس بقمع الثورة والقبض على (علي بك) وإرساله الى لشبونه. كذلك اشتبك البرتغال مع الدولة العثمانية في المحيط العربي عندما استجد

الزعيم القبلي للبصرة بالبرتغال عندما قرر العثمانيون تحويلها الى متسلمية سنة ١٥٤٨م وفي نفس الوقت استجدد عرب الاحساء والبحرين بالدولة العثمانية غير أن الصراع الذي قام بين هاتين القوتين في القرن السادس عشر في الخليج العربي لم ينته بشيء يذكر بالنسبة للعثمانيين، وذلك لأسباب عدة منها أن قواعد أسطولهم كانت قاصرة على حوض البحر المتوسط حيث يوجد امكانيات بناء السفن. كما ترك العثمانيون معظم نشاطهم البحري في منطقة المحيط الهندي والخليج العربي لروح المغامرة عند بعض البحارة المشهورين مثل بينك^(٢٢) والريس مراد الذي ظهر لأول مرة في مياه الخليج بين عامي (١٥٥١-١٥٥٣م) واستول على القطيف ومسقط ولكنه لم يحتفظ بهما، ومثل هؤلاء المغامرين لم يكلفوا أنفسهم عناء الحكم المستقر^(٢٣).

كذلك ظهرت ايران في ذلك العصر في ميدان المعارك البحرية فبدأت الصفوية بالاشتباك بالبرتغال معاونا القبائل العربية النازلة على الشاطئ، الشرق كما استعانوا بالانجليز، الذين كانوا قد بدأوا يتجهون الى أهمية ثروات الشرق، فقام جماعة من تجار لندن بتأسيس شركة الهند الشرقية^(٢٤) الانجليزية سنة ١٦٠٠م ولعل من أبرز ذلك التعاون الذي تم بين الانجليز والدولة الصفوية أن الأخيرة منحت الانجليز امتيازات تجارية، كان من بينها اقامة وكالة تجارية في جسك الواقعة على خليج عمان، وذلك تلافيا لمرورهم بمركز هرمز وتعرضهم لغارات البرتغال من حصونهم المنيع في تلك الجزيرة^(٢٥).

وقد بدأت القوات المتحالفة من الانجليز والفرس بمهاجمة الحصن البرتغالي في قشم^(٢٦)، ولم تصادف القوات مقاومة تذكر من جانب البرتغال فسلمت حامية هرمز سنة ١٦٢٢م. وقد تطلع شاه ايران بعد ذلك للاستيلاء على الشاطئ الغربي وعلى مسقط وغيرها من موانئ عمان، ولكنه لم ينجح الا في النزول في (خوركان) وصحار مدة قصيرة، اذ سرعان ما استرد البرتغاليون مراكزهم في الشاطئ الغربي للخليج. على أن شاه ايران استغل سقوط هرمز، فأنشأ في مواجهتها ميناء جديدا أطلق عليه (بندر عباس)^(٢٧). حقيقة أن

سقوط هرمز كان ضربة قاضية على النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، ولكنه لم يضع حدا نهائيا له، فقد ظلت الدولة الصفوية عاجزة عن تخليص الشاطئ الشرقي من جميع الحصون البرتغالية، فقد بقي أحدها قائما في جلفار حتى نهاية القرن السابع عشر تقريبا، وعندما استردها الفرس من البرتغال، أعيدت جلفار (رأس الخيمة) الى حظيرة العرب على يدي ناصر بن مرشد البعري. هذا ولا ننسى أن نذكر هنا أن أهل عمان كانوا قد ساهموا مع الشاه عباس في الحملة التي استولت على هرمز سنة ١٦٢٢م (٢٨).

وينبغي أن لا نخفل أهمية الدور الذي قامت به دولة اليعاربة (٢٩) في طرد البرتغاليين من الخليج العربي وشرق أفريقيا خاصة بعد الضربة التي وجهت اليهم في هرمز، وذلك برغم العوامل الكثيرة التي كان لها أثرها الكبير في اضمحلال القوة البرتغالية. وقد استفد تحرير شواطئ عمان والخليج الكثير من وقت الامام ناصر بن مرشد وجده، الذي لم يقتصر على البرتغال فحسب بل والفرس أيضا. فقد هاجم صحار واستطاع انتزاعها من البرتغال رغم الصلح المبرم بينهما على أن يدفع له البرتغال جزمة سنوية في نظير احتلالهم لمسقط ومطرح وأن يسمحوا بحرية التجارة وأن لا يعتدوا على عرب عمان وأن يهدموا التحصينات الحربية التي أقاموها في سمند وقربات (٣٠). على أن تلك الاتفاقية لم تكن لتقف في سبيل حركة التحرير التي بدأها ناصر بن مرشد وتبعه فيها خليفته سلطان بن سيف (١٦٤٩ / ١٦٦٨م) الذي استطاع اقتلاع آخر مينائين كانا في قبضة البرتغال وهما مطرح ومسقط وذلك سنة ١٦٥٨م (٣١). ولم يكتف سلطان بن سيف في اجلاء البرتغال عن عمان وشواطئ الخليج فحسب بل تبعهم في الهند وشرق أفريقيا، وذلك استجابة لاستجداد أهل منبسة الذين تربطهم بالعمانيين وشائج متينة منذ القدم (٣٢)، كما اتجه الى جزيرتي بمبا وزنجبار وتمكن من تخليصهما من أيدي البرتغاليين. وهكذا استطاع العمانيون اقصاء البرتغال عن ممتلكاتهم في شرق افريقية التي كانت تمتد من جزيرة سقطرة شمالا والى رأس دجنادر جنوبا (٣٣).

وتعتبر شخصية سيف بن سلطان الذي تولى (١٦٩٢ الى ١٧١١م) من أعظم

شخصيات دولة اليعاربة، الذي تتبع البرتغال في ممتلكاتهم بالهند، فقام بالهجوم على جزيرة ديو، وامتدت أعماله الحربية الى ساحل كجذات حيث أخضع جزيرتي سالت والدامان، كما استطاع احتلال بارسالور ومانجالور القريتين من بومباي وضم جميع هذه المقاطعات الى ممتلكاته (٣٤).

أما عن الأعمال التي قام بها سيف بن سلطان في عمان نفسها فقد انصب جلها الى العناية بالزراعة، فشق القنوات وعنى بالافلاج. ويبدو أنه كان يحتفظ لنفسه بنسبة كبيرة من غنائم الحروب. وقد مكنته هذا من امتلاك الأراضي وبناء الحصون والقلاع، كما بنى لعمان اسطولا حربيا كبيرا، ذكره السالمي (٣٥) فقال انه كان يتكون في عهد سيف بن سلطان من (٢٨) سفينة كبيرة يحمل بعضها ثمانين مكحلة (مدفع). هذا بالإضافة الى الاسطول التجاري الذي تعد مراكبه بالثلاث يمتلكها عادة سكان المواني. ومما يجدر ملاحظته أن اليعاربة برغم نشاطهم البحري والتجاري، الا أنهم اتخذوا حواضرهم ومقرهم في المدن الداخلية، فاتخذ سلطان بن سيف نزوى مقرا له، أما سيف بن سلطان فقد اتخذ رستاق (٣٦) حاضرة له.

وكان سيف بن سلطان آخر شخصية قوية في دولة اليعاربة، اذ خلفه سلطان سنة ١٧١١م ولم يعمر طويلا وانقسمت البلاد بعده بين شخصيات متنافسة من داخل أسرة اليعاربة ومن خارجها على الحكم، مما أدى الى انقسام خطير بين العُمانيين قاد البلاد الى حرب أهلية عنيفة، جعلت العُمانيين يلتفون حول سيف بن سلطان الثاني سنة ١٧٣٧م. وقد اتخذ سيف بن سلطان الثاني أحمد بن سعيد مستشارا له وعهد اليه بإدارة ميناء صحار، الا أن الأخير صمم، منذ تلك اللحظة على العمل لحسابه الخاص.

فقد بدأ أحمد بن سعيد عمله بالتحايل على القضاء على الفئات المتنازعة في عمان، فتحالف مع الفرس ضدهم، كما تظاهر بتحالفه مع أفراد أسرة اليعاربة ضد الفرس. وهكذا استطاع أن يتخلص من جميع الأطراف المتنازعة، وخلص

عمان من الحروب الأهلية ومن سيطرة الفرس على مسقط. ومن ثم فقد أخذ بيعة الإمامة سنة ١٧٤١م، وهكذا وضع أساس أسرة حاكمة جديدة هي أسرة البوسعيد التي ما تزال تحكم سلطنة عمان حتى الآن متخذة مسقط حاضرة لها.

وبعد، ففي هذا القدر من تاريخ عمان عبر العصور ما يكفي قاعدة سليمة يمكن أن نرسي عليها استحكامات البلاد العسكرية. وإذا كنا قد عنينا بتفصيل أحداث الغزو البرتغالي، فذلك لأن هدف البرتغال في الخليج العربي، إنما كان للغزو العسكري واحتلال قواعده وموانئه، ولذا شملت أعمالهم كلا الشاطئين فأقاموا عليه الحصون والقلاع والأسوار والمناظير وغيرها من الاستحكامات الحربية.

أما سياسة الدول الأجنبية التي غلفت البرتغال في البحار الشرقية، ونعني بها هولنده والجمهورية وفرنسا، فلم تكن قائمة على سياسة الاحتكار التجاري، كما كانت سياسة البرتغال، وإنما انصرفت إلى إنشاء مستعمرات وتكوين امبراطوريات، مما ترتب عليه عقد المعاهدات والانفاقيات التي لا تقوم على القوة الحربية بقدر قيامها على القوة السياسية والاقتصادية.

لذلك فقد كانت فترة النصف الثاني من القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين فترة ركود نسبية في إقامة الحصون والقلاع، بل تكاد تكون منحصرة في ترميم وإصلاح وتطوير الاستحكامات القديمة بما يتفق والآلات الحربية الحديثة.

الاستحكامات الحربية

تبين لنا مما تقدم مدى أهمية عُمان في العالم القديم والوسيط وكذا الحديث وذلك من حيث موقعها الاستراتيجي وتضاريسها وموقعها الجغرافي فهي حلقة

الوصل بين الخليج العربي والخليط الهندي. وأما أهميتها من الناحية الاقتصادية فهي المرفأ الذي أوصل تجارة الشرق الأقصى الى دول الشرق الأوسط ومنها الى أوروبا عبر البحر الأبيض دائما والبحر الأحمر أحيانا. ومن ثم فهي في حاجة ماسة الى استحكامات حرية تحميها شر غوائل المجهول من البحر والبر معاً.

ولقد رددت المراجع التاريخية القديمة منها والمحدثه أسماء متعددة عن استحكامات عمان الحرية دون تفرقة بينها سواء من الناحية اللغوية والمعمارية أو الاستحكامات الحرية، فكثيرا ما نجد المراجع تطلق على عمارة بعينها مرة اسم (قلعة) ثم تعود في فقرة ثانية فتسميها (حصن) وفي ثالثة يطلق عليها اسم (برج). وقد حذت المراجع الأجنبية حذو المصادر العربية فأطلقت على معظم العماثر الحرية لفظ Fort أو Fortress، ويندر أن تذكر كلمة Citadel على القلعة أو Curtain Wall على الأسوار. لذلك فقد رأينا من الضروري أن نوضح في كلمات الفرق بين هذه المسميات جميعها من الناحية المعمارية والحرية على أقل تقدير.

الحصن : هو أكبر عماثر الاستحكامات الحرية وأن لم يكن أمنعها، وهو كل بناء يحيط بمساحة من الأرض ليحميها ويحصنها ضد أي اعتداء من داخل البلاد أو خارجها. ومن ثم فإن أسوار المدن كانت تعرف في العصور الوسطى باسم الحصون، مثال ذلك سور مدينة بغداد والقيروان وفاس والمهدية وقرطبة والقاهرة وصنعاء وزيد وغيرها كثير. كما يوجد بسلطنة عمان الكثير من أسوار المدن المحصنة مثل سور مدينة بهلة (Bahlah) وسور مدينة (بني بو حسن) وسور قرية حزم، وأسوار مسقط ومدينة (إبرا) (Ibra) وكذلك أسوار (ظفار) و(صلالة) و(طاقفة) و(مرهط) وغيرها كثير.

على أن المباني التي تحصن المدن أو القرى أو الأحياء، لابد وأن تتميز عن الأسوار العادية باحتوائها على أجزاء معمارية خاصة، القصد منها الحماية والتحصين والمراقبة تعرف باسم الأبراج والساقطات والمراقب، التي يجب أن

يتواجد فيها باستمرار حامية من العسكر والجند ورجال الدرك. هذا وليس ما يمنع أن يكون ساكنو الحصن كلهم من العسكر والجند، بل كثيراً ما يوجد بداخله عدد كبير من المدنيين الذين يقومون بالخدمات العامة أو بالزراعة وخاصة في داخل أسوار المدن.

وقد تطور استخدام الحصون في العصور الوسطى وحتى بداية العصر الحديث تبعاً لتطور النظم الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك الوقت ونعني بها النظم الاقطاعية. فلم يعد الحصن معقلاً فحسب بل أضحي المقر الطبيعي لاقامة الأمير أو الملك أو السلطان وأتباعه^(٣٧). فكان الطابق الأول من مباني الحصن الحربية يحوي الآبار ومخازن الأسلحة والعدد الحربية الثقيلة اللازمة لمقاومة حصار طويل. أما الطابق العلوي فقد خصص لرمي السهام والمواد السائلة وغيرها من القذائف على العدو المهاجم، في حين يستخدم الطابق الأوسط للأمير وأعدائه وأسرتهم^(٣٨).

وقد ظلت معظم حصون سلطنة عمان تستخدم كذلك مقرأً للأئمة والسلطين حتى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. فقد كان الحصن هو مركز الحكم التقليدي في عمان مهما كانت قيمة الحاكم من القوة أو الضعف. وكان يحيط بهذا المقر أو الحصن الأسوار الضخمة بأبراجها العظيمة وبمنافذها وبواباتها العالية التي يكتنفها الأبراج من جانبيها والتي تقوم على حراستها قوة من العسكر ينادقهم وأسلحتهم وأعلامهم؛ وداخل تلك الأسوار يقيم الأهالي.

ولما كانت الغاية من إقامة تلك الحصون بعمان هو التحكم في المنطقة التي تشرف عليها، لذلك فقد اختير لها في معظم الأحيان وخاصة الساحلية منها مواقع استراتيجية هامة، فهي دائماً تبدأ بمقامة على الصخور والجبال، أو في بقعة ممتازة إذا كانت في وادٍ أو سهل. وإلى وقت ليس بعيد كانت أهم حصون عمان كتلك التي في رستاق وصحار وحزم وداهز وبهلة ونزوه وجيهن وبركة

الموز ونخل والمهاني والجلالي بمسقط وغيرها مما شهدت الحروب العمانية التقليدية التي خاضها أبناء الأجيال السابقة لعدة قرون مضت مستعملين الأسلحة التقليدية كالمكاحل والنار الاغريقية وشظايا حجر الصوان وغيرها من أسلحة العصور الوسطى.

القلعة : استحكام حربي يبنى في منطقة استراتيجية كالجبل أو التل أو الروابي الصخرية أو على سواحل البحار. ومهمة هذه المباني قاصرة على المراقبة والدفاع ضد الاعتداء الخارجي، ومن ثم فهي بالضرورة لا بد وأن تتكون من مجموعة من الأبراج والمراقب والمزاغل (فتحات رمي السهام) وما إلى ذلك من المباني الحربية. كما تمتاز القلعة بأن يقتصر سكانها على المسكر والجند ولا مجال لاقامة المدنيين بها. وعلى ذلك نستطيع القول بأن الحصن قد يشمل على قلعة أو أكثر ضمن مبادئه. أما القلعة فهي وحدة معمارية قائمة بذاتها، وقد تكون منفصلة عن الحصن أو بداخله شريطة أن يكون الموقع المقامة عليه موقعاً استراتيجياً، كما أسلفنا القول.

البرج : هو عبارة عن بناء حربي مربع أو مستدير الشكل يبرز عن سميت الجدار والأسوار وتحتوي الأبراج على مساقط (Mackicoullis) ومراقب (Glacis) ومزاغل لرمي السهام. وتزود أسوار الحصون والقلاع بعدد من الأبراج، ومن ثم فإن حجمها يكون عادة صغيراً لتعدددها. وقد يحدث أن تكفي بعض القرى أو المواني الصغيرة باقامة برج للمراقبة والدفاع المبدئي، وفي هذه الحالة فإن البرج يكون كبيراً حتى يتسع لاقامة حامية كبيرة يمكنها صد هجمات الأعداء أو على الأقل تعطيل تقدمهم حتى تستعد القلاع والحصون القريبة منها.

بعد هذا التعريف الموجز للعمائر التي استعملت في الاستحكامات الحربية والتي استخدمتها عمان جميعها في الدفاع عن نفسها وممتلكاتها عبر العصور، نجد أن الطبيعة قد حبتها باستحكام حربي طبيعي بالإضافة الى العمائر السالف ذكرها، ألا وهي الافلاج، ومن أشهرها (حصن بيت الفلج) الذي

يعتمد أساساً في تحصينه على مياه الأفلاج التي تأتي من الجبال المجاورة.

ولعل مما ساعد على كثرة وجود الاستحكامات الحربية من حصون وقلاع وأبراج وأسوار بعمان عبر العصور، هو نظام الأفلاج الذي عرفته عمان منذ أقدم العصور والذي ترجعه الأساطير إلى عهد داود وسليمان الذي قيل إنه أمر الجن ببناء عشرة آلاف مجرى للمياه في عشرة أيام، ومنذ ذلك العهد لم تحف أبداً. ولعل أحسن الأمثلة لنظام الأفلاج في عمان ما يوجد في منطقة (الطاهرة) و(برهامي) التي ما يزال يطلق على الأفلاج بها اسم (داودي) نسبة إلى نبي الله داود.

ولما كان عدد عمائر عمان الحربية يربو على الخمسمائة كما أسلفنا القول، ما بين أسوار وحصون وقلاع وأبراج وأفلاج ودور وقصور قديمة، لذلك فقد رأينا أن نقصر الحديث على تلك التي ما تزال بحالة جيدة، أو بحالة تسمح بدراستها. وانما للفائدة فقد رأينا أن نتناول بالبحث والدراسة استحكامات كل إقليم من أقاليم سلطنة عمان البالغ عددها تسعة أقاليم على حدة.

منطقة مسقط : مسقط هي عاصمة سلطنة عمان ومقر إقامة السلطان. وتقع منطقة مسقط على الساحل الجنوبي لخليج عمان على بعد أقل من ثلث المسافة الممتدة من رأس الحد في الجنوب ورأس مسندم التي تقع عند مدخل الخليج العربي.

أسوار مسقط : (Curtain - Walls)

كان يحيط بمدينة مسقط منذ العصور الوسطى على أقل تقدير أسوار وكتل كبيرة من الصخور الطبيعية، التي كانت تقوم مقام السور وكان سمكها يبلغ مثل أو ثلاثة أمثال سمك السور المني. إلا أن تلك الأسوار القديمة قد تهدمت بمرور الزمن، فأعيد بناؤها على ماهي عليه الآن فيما بين عامي

(١٦٢٣/ ١٠٣٣هـ) وعام (١٦٢٦/ ١٠٣٦هـ). وتعتبر أسوار مدينة مسقط الخط الدفاعي الأول بالنسبة لتحصين وحماية المدينة، ومن ثم فقد اطلقت عليه مصادر العصور الوسطى اسم الحصن، فقد كانت تحيط بمسقط التي تبلغ طولها من الشرق الى الغرب قرابة نصف ميل وعرضها، أي بعدها عن البحر قرابة ربع ميل، احاطة السوار بالمعصم، الا الجانب الشرقي حيث يحمي المدينة جبال شديدة الانحدار، يفصلهما عن جبال (جلالي) فتحة تعرف باسم (مُغَب).

وهكذا نرى أن أسوار مسقط تحيط بالجانب الغربي والجنوبي منها فقط، أما الجانب الشمالي والشرقي فيحتمها خليج مسقط والجبال الشرقية. ويبلغ طول ضلع الأسوار الغربية قرابة (٦٠٠) متراً يبدأ من الشمال عند (باب المتاعيب) وينتهي عند (الباب الكبير) في نهاية الضلع الغربي من الأسوار، حيث يبدأ ضلعاً صغيراً يقطع زاوية التقاء الضلعين الغربي والجنوبي يبلغ طوله (٢٠٠) متراً وينتهي عند (باب الكبينة) ثم تأخذ الأسوار في الامتداد نحو الشرق قرابة (١٣٠٠) متراً.

وتتخلل الأسوار على مسافات تكاد تكون متساوية أبراج مستديرة الشكل، يبعد كل منها عن الآخر (٣٠٠) متراً. وتتكون الأبراج من طابقين الأول منها مسطحة، أما الثاني فيحتوي على غرف ودهاليز لاقامة العسكر والجنود. كما يوجد في جدران الطابق الثاني للأبراج مزاغل (أي فتحات لرمي السهام) (Arrow-Slits). ويعلو الأبراج شرافات كبيرة مستديرة تسمح للمسافة بينها لوضع فوهات المدافع أو (المكاحل)، ويبلغ عددها ثمانية، ثلاثة منها في الضلع الغربي وخمسة في الضلع الجنوبي.

وتحتوي أسوار مسقط على ثلاثة مداخل، واحد منها يقع في الركن الغربي أسفل قلعة المهاني يعرف باسم (باب المتاعيب). ويتكون باب المتاعيب من صف من فتحات حديدية صغيرة يمر من خلالها وادي الكبير الى الشاطئ.

وعند نهاية الضلع الغربي للأسوار يوجد مدخل رئيسي يعرف (بالباب الكبير) الذي يقع أمامه حارة الدخيل (Dakhil) المؤدية الى سوق المدينة في الداخل، كما يؤدي الباب الكبير الى سيداب (Sidab) ومعظم الطرق التي توصل الى ضواحي مسقط والى مدينة مطرح. ويتكون هذا المدخل الرئيسي من مدخل متسع يعلوه عقد مديب يوجد خلفه في السقف فتحة بسعة المدخل تستخدم في صب المواد المحرقة من قار وزيت مغلي على العدو المقتحم. ويكتنف هذا المدخل من جانبيه نصفا برج بهما في الطابق الثاني لرمي السهام.

أما المدخل الثالث فيقع في منتصف الضلع الجنوبي، وهو عبارة عن مدخل رئيسي مماثل للمدخل الرئيسي الكبير، ويعرف باسم (المدخل الصغير).

وتحتوي أسوار مسقط على عدد من الدهاليز والممرات في الطابق الأول التي تسمح بوجود الجنود والعساكر لحمايتها والدفاع عن المدينة ضد أي عدو يهدد الاقتحام. أما أعلى الأسوار فتحوي على ممرات مكشوفة توصل بين الأبراج، وهي تتسع للفرسان على صهوة خيولهم بالتحرك بسرعة للدفاع عن المدينة.

أبراج مسقط : كما يحصن ويدافع عنها ويراقب مداخلها من البر والبحر، مجموعة من الأبراج التي تعلو الجبال التي تحيط بضواحيها. وقد بنيت هذه الأبراج من مجموعة من الصخور السوداء، مما جعلها تبدو وكأنها منازل على قمم الجبال. ومهمة هذه الأبراج هو اعطاء اشارات ضوئية للقلاع والحصون حتى تستعد للدفاع عن المدينة أو الميناء وهي بذلك أشبه بفنارات المواني.

لعل من أهم وأشهر أبراج مسقط التي ما تزال باقية حتى الآن برج (سعالى) الذي يوجد في الركن الجنوبي الشرقي للمدينة وبرج (بوستو) الذي يوجد خلف منتصف المدينة. وكذا برج المربع الذي يوجد على مسافة قريبة من وادي الكبير، وبرج (دامودر) الموجود في الطرف الغربي للمدينة وبرج (مدبجن) في الطريق الى ريام (Riyam) وبرج مكلة عند نهاية الحافة التي تكوّن الجانب

الغربي من الميناء. وهذه الأبراج جميعها لا عمل لها الآن.

قلع مسقط : كانت مسقط تعتمد في حمايتها على قلعتي ميران وجلاي، الواقعتين في مقابل بعضهما على الصخور التي تشغل طرفي المنطقة الرملية على الشاطئ، اذ ترتفع كل منهما على حرف صخري يبلغ ارتفاعه (١٥٠) قدما عن سطح البحر، ويمكن الوصول الى كل منهما عن طريق مجموعة من الدرجات منحوتة في الصخر. كما أقام البرتغال (كشافات أو مناظر كشفية) في صورة الشرقية لمعاونة القلعتين (ميراني وجلاي) في الدفاع البحري. وعلى الشاطئ الشرقي للميناء وعلى بعد (٢٥٠) ياردة من رأس مسقط توجد صورة الغربية على الطرف الآخر، يعلوها المأوى المقصي المعروف باسم مكلّة السالف الاشارة اليه.

قلعة ميرياني : تقع قلعة ميرياني الى الغرب من مسقط، أقامها البرتغال في عهد الملك فليب ملك اسبانيا بعد استيلائه على البرتغال (١٥٨٠م / ٩٨٨هـ). وقد قيل ان الحصن الغربي الذي أنشأه البرتغال في غربي مسقط عرف باسم ميرياني نسبة الى الكلمة البرتغالية (Almirante) ومعناها (Admiral) التي أخذت بدورها من الاصطلاح العربي أمير البحار. وهكذا نستطيع أن نرجع اسم قلعة ميرياني الى معناها العربي الأصيل (قلعة أمير البحار).

وقد تم بناء هذه القلعة (١٥٨٧م / ٩٩٦هـ) على يدي القائد بلكوار Belchoir Alvares على نفس البقعة التي كان القائد دون جو (Don Joee) اللشبوني قد أقام في تلك البقعة قلعة جديدة سنة ١٥٢٢م التي هدمها قائد الحملة التركية ييري (Piri) ثم استولى على مسقط بعد ذلك بفترة وجيزة. ولما عاود الأتراك واستولوا على مسقط مرة أخرى (١٥٨٢م / ٩٩٠هـ)، لم يجد البرتغال مندوحة من أن يطلبوا من نائب الملك في الهند الاذن لهم ببناء قلعتين عظيمتين

في مسقط للدفاع عنها وتزويدها بكل ما تحتاجه من وسائل الدفاع والحراسة، فلما وافق أنشأوا القلعتين.

وقد اهتمت البرتغال اهتماما خاصا بهاتين القلعتين، ونعني بهما ميراني وجلالي، ومنذ انشائهما أخذت تتوالى بهما التجهيزات والترميمات والاضافات، ففي (١٦١٠م/ ١٠١٩هـ) أقامت برجاً كبيراً (٣٩) بمستوى البحر ملحفاً بقلعة ميراني، وذلك حتى تمنع القوارب الصغيرة من أن تمر بالقرب من القلعة وهي في مأمن من أن تصيبها نيران القلعة لأنها تسير تحت مستوى مرمى سهامها ومدافعها.

قلعة جلالي : وتقع في مقابلة قلعة ميراني في الجهة الشرقية من مسقط وقد تم بناؤها بعد قلعة ميراني بعام أي (١٥٨٨م/ ٩٩٧هـ) ويقال ان قلعة جلالي قد أخذت اسمها من اسم القائد البرتغالي (San Joa) سان جوا. وما تزال القلعة تحتفظ بتاريخ انشائها حتى الآن. والنص مكتوب باللغة البرتغالية.

أما الآن فإن قلعتي ميراني وجلالي فتتكون أسلحتهما من بنادق بارودية قديمة تستعمل للتحية فقط، ويبلغ عدد فرق الحراسة في كل منهما (٢٠٠) جندي ريعهم من معة السلطان.

قلعة مطرح : تعتبر مطرح أكبر مدينة في سلطنة عمان وأكثرها أهمية من الناحية التجارية. وتقع مطرح على الجانب الغربي من خليج مطرح وعلى بعد ميلين غربي مدينة مسقط. وتشبه قلعة مطرح قلعتي مسقط من حيث التخطيط المعماري وأسلوب العمارة. هذا وقد حصنت المدينة بأسوار عالية خاصة تلك الأجزاء التي لم تحصنها الطبيعة. وقد تغلغل السور مجموعة من الأبراج وعدة مداخل رئيسية، أهمها الباب الكبير الذي يقع في الركن الجنوبي الشرقي من المدينة والذي يبدأ منه الطريق الذي يخرج من مطرح الى مدينة روي (Ruwi).

(٢) منطقة الباطنة :

هي من أهم مناطق عمان، وهي تقع في الشمال على الساحل بين البحر وهجر الغربي، ويقطع هذه المنطقة عدة وديان تنبع من قمم الجبال وتنتهي في البحر، كما انها كثيرة القرى في رؤوس الوديان ومنطقة الباطنة عبارة عن سهل ساحلي يبلغ طوله (١٥٠) ميلا وعرضه يتفاوت بين (١٠ الى ١٥ ميلا). وقاعدة البطينة صحار التي كانت فيما مضى عاصمة عُمان كلها.

قلعة صحار : ويحمي مدينة صحار قلعة كبيرة يرجع تاريخها الى ما قبل الاسلام^(٤١). وان كان كثير من الأوروبيين ينسبونها الى البرتغال. ولعل مرجع هذا الخطأ هو أن البرتغال قد نقلوا تصميمها المعماري واستعملوه في استحكاماتهم الحربية التي أقاموها في منطقة الخليج مثل ميراني وجلالي وقلعة العجاج^(٤٢).

قلعة مصنعة : مصنعة ميناء على ساحل منطقة باطنة على بعد (١٧) ميلا شمال غربي (بركة) وعلى بعد (١٧) ميلا كذلك جنوب شرق سوق. وهي تقع عند التقاء وادي فرع (رستاق) بالبحر. ومصنعة مدينة صغيرة تحتوي على (٣٠٠) دارا وتبلغ مساحتها ما بين (٤ أو ٥) أميال بحذاء البحر. وتمتد الى الداخل قرابة ميلين أو ثلاثة أميال، لكن موقعها الجغرافي جعل لها موقعا استراتيجيا هاما على ساحل خليج عمان مما جعل دولة بوسعيد تقيم فيها قلعة متينة لحمايتها والدفاع عنها. وقد كانت قلعة مصنعة ذات طراز معماري اسلامي هام، ذلك انه روعي فيها أن يتوسط صحنها مسجد يؤدي فيه عسكريها صلواتهم الخمس دون الحاجة الى الخروج من القلعة خاصة وقت الأزمات. وقد أقيم في أوائل القرن العشرين قلعة في مدينة (أبو ظبي) على غرار قلعة مصنعة تعرف باسم قلعة الشيخ.

قلعة بركة : تقع مدينة بركة على الشاطئ في منطقة البطينة على بعد

(٤٣) ميلا شمال غرب مدينة مسقط. وهي مدينة ذات أهمية خاصة في المنطقة تمتد على الجانب الشرقي لوادي مَعُول (Ma'awal) عند بدايته وحتى ثلاثة أميال ولا يوجد لها ميناء وإن كان لها طريق ممتد بمخاء الشاطيء ويشغل معظم أرجاء المدينة أكواخ متناثرة بين زراعة النخيل.

وفي وسط مدينة بركة تقوم قلعة عالية مربعة الشكل يدعم أركانها أربعة أبراج، وتحيط المنازل بالقلعة من جهاتها الثلاث الشرقية والجنوبية والغربية، أما الضلع الرابع وهو الشمالي فيوجد به المدخل الرئيسي للقلعة الذي يكتنفه نصفان برجين على جانبيه.

قلعة صويقي : تعتبر سوق إحدى مواني وادي بني جفیر (Ghafir) وفي وسط المدينة توجد قلعة عالية مربعة الشكل يدعمها أربعة أبراج في أركانها الأربعة. وقد اتخذ الوالي القلعة مركزاً له ويقوم بحراستها قوة مكونة من (٢٥) جندياً.

قلعة حزم : تعتبر قلعة الحزم من أهم الاستحكامات الحربية في عمان التي خلدها التاريخ. وقد أنشأ قلعة الحزم، الامام السلطان بن سيف الثاني اليعربي (١٧٠٨م/ ١١٢١هـ) وقد اتخذها قاعدة لحكمه بعد أن ترك رستاق.

وتحتوي قلعة الحزم في الطابق العلوي على قصر للسلطان ومجلس عرشه. كما يوجد بجانب القصر مدرسة يدرس فيها العلوم الدينية والمدنية على حد سواء، كما تخصص قسم خاص بها لتدريس المذهب الإباضي.

وما تزال قلعة الحزم تحتفظ بين فتحات شرفاتها العليا ببعض المكاحل البرتغالية والاسبانية في القرن التاسع عشر في عهد الامام عُزَّان بن قيس الذي حكم من (سنة ١٨٦٨ حتى سنة ١٨٧١م / سنة ١٢٨٥ / ١٢٨٨هـ).

وقد ظلت قلعة الخزم في أيدي أسرة اليعاربة فترة طويلة حتى بعد أن استولت أسرة بوسعيد على عمان (١٧٤٧م / ١١٦٠هـ) استمرت حتى سنة ١٨٧٠م / ١٢٨٧هـ) عندما استولى عليها إبراهيم بن قيس ابن الإمام عزان بن قيس وأبو سعيد أحمد بن إبراهيم الذي كان وزيراً للداخلية للسلطان سعيد بن تيمور لفترة طويلة.

مسندام : ويطلق عليها الانجليز (Musseldom) وهي عبارة عن قرية ذات موقع استراتيجي هام، فهي ملتصقة بالطرف الشرقي لمنطقة رؤوس الجبال ولا يفصلها عنها غير مضيق ضيق. وهكذا نرى أن قرية مسندام تفصل بين الخليج العربي وخليج عُمان.

ويبلغ طول مسندام ميلين من الشمال الى الجنوب أما عرضها فأقل من ذلك، ويبلغ أقصى ارتفاع لها (٨٧٥) قدما.

جزيرة هرموز : لا بد لمن يتصدى للكلام عن الاستحكامات الحربية لسلطنة عمان أن يترج على قلاع وحصون جزيرة هرموز، ذلك أنها الباب والمدخل الهام الذي يفصل بين خليج عمان والخليج العربي.

وتقع جزيرة هرموز ذات الشهرة العالمية على بعد (١١) ميلا عن بندر عباس وعلى بعد (٤) أميال جنوب خورميناب (Minab). وهي جزيرة مستديرة الشكل تقريبا قطرها ما بين (٥ر٤ أو ٥) أميال. وسواحلها خالية من التعاريج تقريبا اللهم الا ركنها الشمالي الذي يبرز قرابة ميل عن باقي جسم الجزيرة. ويبلغ عرض المسر المائي الذي يفصل الجزيرة عن الأرض ميلا واحدا وعمقه في أضيق أجزاء المضيق عشرة أبياء (١٣)، يأخذ في الضيق حتى يصل الى أربعة أو ثلاثة ونصف أبياء عندما يقترب من بندر عباس.

ويغطي أرض جزيرة هرموز تلال ذات رؤوس مسننة وألوان مختلفة وإن كان

يغلب عليها اللون الأحمر الأرجواني التي يتوجها قمم بيضاء. ويبلغ ارتفاع هذه التلال في معظمها ما يقرب من (٢٠٠) قدم وإن كان يتوسطها تل مرتفع يبلغ ارتفاعه (٦٩٠) قدماً.

والذي يهنا في جزيرة هرموز، هو قرية هرموز ذلك أنها الجزء الوحيد المسكون في الجزيرة. وتقع القرية في الجزء الشمالي من ربة الجزيرة حيث توجد القلعة البرتغالية. وتتكون القرية من (٢٠٠) دار وسكانها خليط من العرب والفرس ويدينون بثلاثهم بالمذهب الشيعي والثلاث بالمذهب السني. ويقع مرفأ قرية هرموز على بعد ميل شرق القلعة البرتغالية التي أضحت الآن في حالة خربة بعد أن اعتدى أهالي القرية على أحجارها وأخذوها لبناء دورهم، وإن كانت مائزات تحتفظ بخزانين لحزن المياه يعتبران من الناحية المعمارية قمة فنية رائعة. وهرموز تابعة لإيران، إذ يوجد بها حاكم يعرف باسم معين التجار.

(٣) منطقة الحجر الغربي : تقع هذه المنطقة الى الغرب من منطقة الباطني وهي منطقة جبلية. وقاعدة المنطقة مدينة رستاق التي تقع في وادي فارة.

حصن العواري : العواري مدينة أو بالأحرى قرية كبيرة في منطقة حجر الغرب على الجانب الأيسر لوادي بني خروص في منطقة المضارب. وهي تقع على بعد (١٥) ميلا غربي قلعة نخل، كما تبعد أقل من (١٣) ميلا تقريبا شرق رستاق. وترتفع عواري بمقدار (١٨٥٠) قدما عن سطح البحر. وتسمى المنطقة كلها حصن كبير يعرف باسم بيت العواري لأنه يشغل منطقة استراتيجية تتحكم في المنطقة الممتدة من نخل.

وتعتبر قرية عواري ذات موقع استراتيجي له أهمية خاصة، إذ أنها تتحكم في وادي خروص حيث يوجد أفضل الطرق المؤدية الى الجبل الأخضر من الجهة الشمالية ومن ثم فقد كان مثار نزاع بين بني رهام والعميين، وإن كانت الغلبة

دائما للعبيرين نظرا لكثرتهم العددية. وفي سنة ١٩٠٠م سلم العبيون تبعية بيت
العواني الى سلطنة عمان التي تولت الاشراف عليه وعينت له (في ذلك الحين)
(٣٠) رجلا لحراسة الحصن والسهر عليه.

(٤) منطقة الحجر الشرقي : تقع هذه المنطقة الى الجنوب من الباطنة
ومحاذاة للبحر. وهي عبارة عن منطقة جبلية تتحدر بشدة نحو البحر ومن ثم
فان شواطئها غير صالحة للسكنى.

قلعة فزراع : مزارع قرية كبيرة في وادي تايين (Tayin) بمنطقة حجر
الشرقي، على بعد عشرة أميال من (هيل الجاف) (Hail al Ghanf) وان كان
معظمها يقع على الجانب الأيمن من الوادي ومزارع عاصمة قبائل بني بطاش
(Battash) وقرية مزارع محاطة من جميع الجهات بجبال منحدره تتقدمها في
مدخل الوادي صخرة كبيرة مرتفعة أقيمت فوقها قلعة قديمة تتحكم في الوادي
ومدخله.

حصون وقلاع صور : مدينة صور ذات أهمية خاصة بالنسبة لسلطنة
عمان من عدة نواحي لعل أهمها الناحية السياسية والاقتصادية وفوق ذلك
الناحية الاستراتيجية كما أنها ثاني مدينة بالسلطنة من حيث المساحة كما تأتي
بعد مدينة مطرح من حيث عدد السكان. وما تزال تحتفظ مدينة صور ببعض
مبانيها القديمة لعل من أهمها مسجدها الجامع.

وتقع مدينة صور على بعد (١٧) ميلا غرب رأس الحد، (٩٤) ميلا شرق
مدينة مسقط. ومن أبرز مميزات صور، أنها تقع على جانبي مدخل خور تحده
صخور ذات أطراف حادة يعرف باسم خور العيص، ترتفع صخوره عن
القاعدة (حصاء) بمقدار (٥٠) قدما ويحيزي من الجنوب الشرقي الى الشمال
الغربي خلف مدينة صور وعلى بعد ميلين من البحر. ووجود خور العيص
بالقرب من صور جعلها لا تصلح لأن تكون ميناء اللهم الا للسفن الصغيرة

حدا وفي المنطقة السهلية بين حافة وقاع وادي الفلج، وإلى الخلف من الرؤوس الصخرية المدببة التي تحيط بخور العيص، يوجد ما يعرف باسم (بلاد الصور).

وبلاد الصور عبارة عن قرية مبنية بالأحجار، يعرف جزء منها باسم (سوق الصور). وعلى بعد ميل من الشمال الغربي من بلاد الصور، توجد قرية تعرف باسم جناه (Jinah) حيث يوجد بقايا حصن قديم.

ولكنية الاضطرابات التي كانت تحدث بين القبائل التي تسكن صور ونظراً لأهميتها الخاصة، فقد أقيمت مجموعة من القلاع والحصون والأبراج بضواحي المدينة والقرى المحيطة وذلك لحراستها وتأمين مواردها، كما تقوم على حراسة موارد المياه بها.

(٥) منطقة الظاهرة : تقع هذه المنطقة الادانية الى الغرب من منطقة

هجر الغرب، وقصبتها مدينة (عبرى) وأهم وديانها، الوادي الكبير كما يوجد بها أكبر جامع أباضي.

قلعة عبرى : تعتبر عبرى أعظم مدينة في منطقة ظهير، وهي تقع على بعد (٣٧) ميلاً جنوب شرق مدينة ضنك، كما أنها تبعد (٥٠) ميلاً شمال بهلة. وفي وسط المدينة وعلى جبالها توجد قلعة عبرى التي تعد من قلاع عمان الداخلية ذلك أنها لا تقع على ساحل البحر كما أنها تقع على حدود البلاد، وتعتبر القلعة مركزاً للحركة التجارية بالمدينة إذ أن الأسواق تحيطها، كما توجد حولها دور وبيوت الطبقات الفقيرة.

(٦) منطقة عمان الأصلية أو الغربية :

تقع هذه المنطقة الى الجنوب من منطقة الظاهرة، وقاعدتها مدينة نزوى التي أطنب في وصفها ابن بطوطة في القرن الثامن للهجرة، فقال كانت نزوى قاعدة

عمان الداخلية منذ القرن الثاني وكان سلطانها من قبيلة الأزد بن الغوث ويكنى
بأبي محمد وهي سمة لكل سلطان يحكم عُمان.

قلعة نزوى : تعتبر مدينة نزوى أكثر المدن توسطاً لسلطنة عمان وهي
ترتفع عن سطح البحر بمقدار (١٩٠٠) قدماً، وتقع عند قدم جبل الأخضر
وعلى بعد عشرين ميلاً غرب ازكى وعلى نفس المسافة من الشرق الى بهلة.
وتنقسم مدينة نزوى الى جزأين، جزء علوي ويعرف (غلاية) وجزء منخفض
ويعرف (سيفالة) يفصل بينهما وادي كلبو (Kalibu). وتقع غلاية على الجانب
الشرقي للوادي، وتعتمد في مياهها على فلج يعرف باسم فلج دارش (Daris).
أما سيفالة (Sifalah) فتأخذ مياهها من فلج الغندوق (Ghandug). وهناك وادي
آخر ينفرد بمدينة نزوى يعرف باسم وادي أبيض ويلتقي بوادي كلبو عند
سوق المدينة.

أما القلعة فتقع في الجزء المنخفض من المدينة المعروف بسيفالة، إلا أنها قد
بنيت على ربوة صخرية مرتفعة في تلك المنطقة. وهي تتكون من مساحة كبيرة
مربعة الشكل تحلله الأبراج، وفي أحد أركان القلعة يوجد البرج المركزي الكبير
الذي بناه السلطان ابن سعيد اليعربي ما بين (سنة ١٦٧٠ الى سنة ١٦٨٠م).

حصن بهلاء :

تقع مدينة بهلاء بمنطقة الغربية أو عمان الأصلية وهي تبعد عن غرب نزوى
بمقدار (٢٠) ميلاً وترتفع عن سطح البحر بمقدار (١٦٠٠) قدماً وتحتل مدينة
بهلاء بما يحيطها من المزارع، شكلاً متوازي الأضلاع غير منتظم تبلغ مساحته
مليون مربعين. ويحيط بالمدينة والحصن سور قديم يرجع الى ما قبل العصر
الاسلامي يبلغ طوله سبعة أميال. ويقع على الضفة اليسرى من وادي بهلاء،
أحد روافد وادي حلفان. والسور مبني من الطمي، كما بني كل ما يتعلق بهذه
الأسوار من أبراج مراقبة ومساقط ومناظر وفنحات لرمي السهام وأخرى

للفتحات للمكاحل وكذا دور الحراسة كلها من الطمي.

وتتكون مدينة بهلا من قرى منفصلة أو أحياء مسورة مما أكسبها منظرًا غير مألوف، انفردت به بهلا دون غيرها من مدن السلطنة.

ويقوم على مرتفع في وسطها قلعة بيضاء كبيرة، تحتوي على برجين، يرتفع أحدهما عن الآخر ارتفاعاً كبيراً بحيث أصبح يتحكم تحكما تاماً في الوادي الذي يشرف عليه.

قلعة ازكي Izki

ازكي مدينة هامة تقع على جانبي وادي حلفا وترتفع بمقدار (٢١٥٠) قدما عن سطح البحر. ويشغل الجانب الأيمن من الوادي حي عرف باسم حي يَمَن (Yaman) يقابله حي نزار وفي وسط حي اليمن توجد قلعة ازكي التي يحيطها سور سميك قوي البنيان، اذ يبلغ جدرانه خمسة أقدام.

قلعة بركة الموز :

بركة الموز قرية كبيرة تقع على حدود سهل عمان الشمالي وبينها وبين ازكي ستة أو خمسة أميال من جهة الغرب حيث ينحدر وادي معيدين (Mi'aidin) من الجبل الأخضر.

وتتكون بركة الموز من ثلاثة (مجراس) أي أحياء، ترونها الأفلاج. ويوجد ببركة الموز قلعة تقع في الجهة الغربية منها ويفصلها عنها جبل مخروطي الشكل يحلوه برج كبير مستدير الشكل مهمته مراقبة مورد مياه القرية.

وتعرف قلعة بركة الموز باسم (رَديده)، وهي تتكون من مساحة مستطيلة يدعم أركانها أبراج ضخمة. وتتكون القلعة من طابقين، ويحيط بها الأسوار التي

تدخلها الأبراج كذلك. وقد أنشأ بعض أبراج المراقبة بقلعة بركة الموز، أحد أقارب سلطان عمان سنة ١٨٧٦م وهو حماد بن هلال بن محمد.

حصن جيهين :

يقع حصن جيهين على مسيرة دقائق معدودات من مدينة بهلاء، ومن ثم فانه يعتبر القاعدة الأمامية لبهلاء.

ولقد اتخذ السلطان بلعروب بن سيف حصن جيهين مقراً له، بل لقد أصبح لفترة قصيرة ينظر اليه على أنه حاضرة عُمان كلها.

فقد كان ذلك الحصن قوي البناء سميك الجدران زخرفت أبوابه الخشبية برسوم غاية في الابداع بطريقة الحفر البارز والغائر، وتوجت فتحاته بعقود مديبة ومنبججة على الطراز الصفوي المعاصر لبناء الحصن، وملكت نوافذه المربعة بالخشب الخروط ذي الزخارف الهندسية التي تقوم أساساً على شكل النجمة. وزينت سقوفه بالرسوم الزينية البديعة، كما كسيت جدرانه الداخلية بزخارف جصية قالية جميلة، وتحت في جدرانه الحجرية الخارجية النقوش النباتية البارزة الجميلة. وما يزال ضريح (بلعروب) الموجود داخل الحصن يزخر بالكثير من تلك الزخارف بالإضافة الى ما يحتويه من النقوش القرآنية التي حظيت بها غرفة الدفن.

وما يزال الحصن يحتفظ بهاها القصر الذي اتخذهُ السلطان (بلعروب) مقراً له، كما أقام لنفسه غرفة خاصة في أعلى منطقة في الحصن كانت تعرف باسم حجرة (الشمس والقمر) كما عرفت باسم (المجلس). وقد امتازت تلك الغرفة بجمال موقعها وتعدد هوائها وبرودتها المنعشة، وبديع رونغها الذي يتمثل في الرسوم الزينية التي تغلف الأعمدة التي تعتمد عليها سقوفها كما تطل غرفة المجلس على الوادي الفسيح الذي يتقدم الحصن، والأبراج الضخمة التي تتوج

رؤوس الجبل الأخضر. وكان طبعاً أن يصاحب هذا التقدم المعماري نهضة ثقافية في عمان، لذلك نجد السلطان (بلعروب) ينشيء مدرسة شهيرة داخل الحصن وبجانب قصره العظيم.

قلعة حبي Hibi

حبي قرية صغيرة في غرب منطقة حجر، تبعد عن مدينة سهام (Saham) مسيرة يوم من رأس وادي سرامي (Sarrami). وتحتوي القرية على ثمانين منزلاً لبني عيسى والحواسنة من فرع الحواميد وكذا بني عمر.

وفي وسط القرية توجد قلعة كبيرة يتقدمها برج مستدير الشكل ضخيم يقوم على حراسة مياه القرية وما حولها. ويقوم على حراسة القلعة قوة من الجنود يبلغ عددها أربعين جندياً تحت قيادة عقيد تابع للسلطان.

حصن آدم (Adam)

تقع مدينة آدم أقصى جنوب سلطنة عمان على بعد (٢٠ أو ٢٥) ميلاً جنوب مناه (Manah)، حيث يبدأ الربع الخالي جنوبها مباشرة. والطريق الذي يمر بمنامة عندما يقترب من آدم يمر بين جبلين قاحلين مجديين، لكنهما متوسطا الارتفاع هما جبل سلخ (Salakh) الذي يقع إلى الغرب من الطريق وجبل مضمار (Madhmar) إلى الشرق منه. وترتفع مدينة آدم بمقدار (٨٥٠) قدماً عن سطح البحر، وتشتهر بزراعة النخيل التي تعتمد في ربتها على الأفلاج الدافقة

(٧) المنطقة الشرقية :

تقع هذه المنطقة إلى الغرب من حجر الشرقية وقاعدتها مدينة إبرا.

حصن إبرا :

تعتبر مدينة إبرا أهم مدن الشرقية، وهي تقع في وادي إبرا وهي البلدة الرئيسية في الحرث في منطقة زراعية جيدة. وكما هو الحال في معظم المدن

العمانية توجد في إبرا ساحتان أحدهما عليا وأخرى سفلى. وتضم الساحة العليا مجموعة من المنازل الحجرية الجميلة يرجع تاريخها الى نفس تاريخ منازل مسقط القديمة. وتمتاز بيوت إبرا بالطراز الزخرفي المتأثر بالأسلوب الصفوي والمغولي الهندي الذي يبدو واضحا في النقوش وفي العقود، وليس من المستبعد أن يكون معماريو ومزخرفو تلك المنازل، صناعا أتوا من إيران أو من الهند في القرن الثامن عشر على أقل تقدير.

ولعل من المميزات التي انفردت بها مباني منازل إبرا أن بعضها يحتوي في أحد أركانه أو في ركنين منه على برج مستدير من الخارج، أما داخل البرج فإنه يحتوي على غرفة مربعة فتح في الثلث الأعلى منها شقوق لرمي السهام (Arrow-Slit). ومن ثم فإتينا نستطيع القول بأن منازل إبرا القديمة كانت تشكل بحصنها وأبراجها جزءاً هاماً من استحكاماتها الحربية.

قلعة العوامر Awamir

العوامر مجموعة من القرى، تقع بوادي حلفان، حيث يوجد قلع العوامر. ويوجد بهذه القرى حصن كبير مكون من مجموعة من المباني يرجع الى عصور مختلفة لعل أهمها، الأبراج المستديرة والمربعة منها. ويتولى حراسة هذا الحصن قبائل العوامر بمنطقة الشرقية.

(٨) منطقة جُعلان :

تقع هذه المنطقة في جنوب منطقة الشرقية على ساحل بحر العرب.

قلعة الحد :

الحد قرية تقع عند قدم خور الحجر، على بعد ميل واحد جنوب غرب رأس الحد بالداخل، ومن ثم فهي توجد عند الجزء الرملي المنخفض الذي يحدد مدخل خليج عمان، كما أنه يحدد نهاية الطرف الشرقي لشبه الجزيرة العربية.

وتقع قرية الحد على بعد (١٦) ميلا الى الجنوب الشرقي من مدينة صور،

حتى تبدو قرية الحد وكأنها جزء من ساحل منطقة الحجر الشرقي. وتقع القرية في سهل رملي، وتتكون من مجموعة من الدور البسيطة المبنية من الطمي وسقف التخيل.

وبرغم مظهر مباني القرية البسيط البدائي، إلا أنه يتوسطها قلعة عظيمة مبنية من الحجر. والقلعة مربعة الشكل بدعم أركانها أربعة أبراج مستديرة الشكل يتكون كل منها من ثلاثة طوابق، فتح في الثاني منها مزاغل لرمي السهام. أما الطابق العلوي فيحتوي على فتحات كبيرة نسبياً وكذا شرفات تسمح لوضع فوهات المكاحل.

فلاع بني بوحسن :

يوجد في شمال مدينة بني بوحسن قلعتان لحمايتها، أحدهما قديمة جداً مبنية من الطمي، والأخرى أحدث وهي مبنية بالحجر المكسي بطيقة سمكة من الجص. ويحيط بالقلعتين وكذا المدينة أسوار يتخللها الأبراج المستديرة والمربعة التي تقوم بحماية العيون والأفلاج التي تعتمد عليها في ري تلك المنطقة.

(٩) منطقة ظفار الحيوضي :

تقع منطقة ظفار على ساحل بحر العرب في نهاية حدود عمان الجنوبية الغربية، وعند حدود حضرموت الشرقية. وتمتد ظفار من رأس بوس إلى قرية (خريفوط) على ساحل البحر. ويبلغ طول المنطقة نحو (١٣٥) ميلاً وعرضها (٢٠) ميلاً وقاعدتها صلالة.

وهي بذلك تشكل ثلث مساحة البلاد. ومعظم منطقة ظفار يتكون من هضبة من الصخور الجيرية ابتدا من الساحل حتى الربع الخالي. وهي عديمة المطر اللهم إلا رقعة صغيرة في أقصى الجنوب يبلغ عرضها في الداخل حوالي

(٢٠) ميلا، يهطل عليها الأمطار الموسمية في الصيف وهي أخصب بقاع منطقة ظفار، فهي سهل يبلغ طوله (٣٠) ميلا وعرضه لا يزيد عن خمسة أميال وتتوسطه مدينة صلالة.

وقد عرفت المنطقة باسم ظفار الحيوضي نسبة الى السلطان راشد الحيوضي. ويختلف الجزء الشمالي من المنطقة عن جنوبها ويرى ذلك واضحا في مباتها ودورها وقصورها. ففي مدينة صلالة جنوبا نجد تخطيط المنازل مربع الشكل مع اتسجام تام في جميع تفاصيلها. ومثل هذا التخطيط نجده كذلك في منازل ظفار وحضرموت. مع مراعاة أن مواد البناء في معظم الأحيان من الأحجار.

حصن الغراب :

يرجع تاريخ هذا الحصن الى ما قبل الاسلام، فقد وصفه المؤرخ الهمداني بعد ذكره سواحل الشحر ومهره فقال: وفي منتصف من هذا الساحل بين عمان وعدن ورسوت، يوجد حصن غراب وهو موثل كالقلعة، بل قلعة مبنية بناينا على جبل، البحر محيط به إلا من جانب واحد.

ويضيف (١٤) الهمداني فيذكر شيئا عن حال تلك القلعة في عصره فيقول: - «ويقال أن ساكني رسوت القدماء البياسرة، نزلت عليهم جدهد من الأزد فنزلت فيهم».

(١٠) البيوت المدرجة بالجبل الأخضر :

ومن الاستحكامات الحربية التي تنفرد بها سلطنة عمان، الدور المبنية على مدرجات الجبال التي تبدو وكأنها أبراج حصون أو مبانى قلاع يعملو بعضها البعض. وتزخر جبال قري منطقة الجبل الأخضر بهذا النوع من المباني. وهي

ذات تخطيط مربع الشكل مكونة من عدة طوابق، بني كل طابق منها على طبقة من الصخور المدرجة.

بعد هذا العرض الموجز لأهم حصون وقلاع وأبراج المناطق الإدارية التسعة لسلطنة عمان، يبين لنا أن الاستحكامات الحربية الموجودة بمسقط وعمان، تنقسم الى ثلاثة أقسام رئيسية لكل منها خصائصها ومميزاتها، وفيما يلي بيانها :-

أولاً - استحکامات ساحلية :

(١) تقتصر هذه الاستحكامات على القلاع والأبراج المرتفعة، حتى تستطيع مراقبة العدو على مسافات بعيدة في عرض البحر قبل اقترابه من الشاطئ.

(٢) توجد معظم هذه القلاع على قمم الجبال والصخور العالية ذات الموقع الاستراتيجي الممتاز، مثل قلعة صحار التي تحمي ميناء صحار وتتحكم في مضيق هرمز. ولما كانت قمم الجبال وكذا الرؤوس الصخرية مساحتها ضيقة فمن ثم فهي لا تتسع لبناء الحصون، بل تكفي فقط لاقامة القلاع والأبراج.

(٣) كل المنشآت الحربية الساحلية مبنية بالحجر الصلد وكثيراً ما يكسوها طبقة سمیكة من الجص، وذلك لأن العوامل المناخية تحتاج الى مواد بنائية تستطيع مقاومة البحر وأنوائه.

(٤) يقل استخدام الساقطات (Machicoulis) في القلاع والأبراج الساحلية، وخاصة تلك التي تعلو قمم الجبال، ذلك أن مهمة الساقطات هي صب المواد الحارقة على العدو عندما يقترب من سور القلعة، ولما كانت ساحة القتال بالنسبة للسواحل والمواني هو البحر، لذلك فإن قلاعها

ليست في حاجة الى بناء الساقطات.

(٥) توجد المزاغل في الطابق العلوي من أبراج السواحل حتى تستطيع أن تصيب سفن العدو على مسافات بعيدة. وهذا هو السبب الذي جعل البرتغال تضيف الى قلعة ميرالي سنة ١٦١٠م (أي بعد انشائها بثلاثة وعشرين عاما) برجاً بمستوى البحر حتى تمنع القوارب الصغيرة من أن تمر بالقرب من القلعة وهي في مأمن من أن تصيبها النيران لأنها تحت مستوى مرمى سهامها ومدافعها.

ثانيا - الاستحكامات الداخلية :

(١) هي عبارة عن حصون تتوسط المدن أو القرى وتحيط بها الأسوار أو على الطرق والوديان التي يخشى عليها من الاعتداء.

(٢) تتكون الحصون من مجموعة من المنشآت الحربية كالأبراج والقلاع ومخازن السلاح وكثيرا ما يضم الحصن مركز الحكم حيث يوجد به قصر للسلطان أو مقر للوالي.

(٣) تبنى الحصون الداخلية وخاصة في المناطق الشديدة الحرارة، من الطوب اللبن فهو أكثر ملاءمة للحرارة من الأحجار التي تكون عرضة للتصدع من شدة الحرارة.

(٤) تكثر الساقطات في الأبراج التي تتخلل الأسوار وقلاع الحصون وكذا الفتحات التي توجد خلف عقود المداخل الرئيسية، ذلك لهدف المواد الحارقة على العدو الذي يقترب من الأسوار أو الأبراج.

(٥) توجد المزاغل لرمي السهام في الطابق الثاني من أبراج الحصون ذلك أنها تكون عادة مبنية في سهل أو على رهوة أو تل قليل الارتفاع.

ثالثا - استحکامات محلية (الدور والافلاج) :

(١) لقد كانت دار كل قبيلة في العصور الوسطى أشبه بمحصن يحميها من اعتداء القبائل الأخرى المتنافسة لها، أو اعتداء اللصوص اذا كانت القبيلة ذات ثراء واسع.

(٢) ومن ثم فقد كانت الدار تحتوي على برج أو أكثر للمراقبة يحميها اذا ما اعتدي عليها معتد.

(٣) توجد بتلك الدور مزاغل لرمي السهام وكذا ساقطات لصب المواد الحارقة اذا ما جد الجدد.

(٤) تحتوي الدور على مداعل منكسرة (Bent-Entrance) حتى تعوق اندفاع العدو من الدخول الى صحن الدار، كما أنها ترعى للدور حرمة، فلا يرى من بالباب الموجودين بصحنه.

(٥) تبنى الدور الكبيرة عادة بجانب الافلاج أو بالقرب منها حتى لا تكون في حاجة الى تخزين المياه، كما لا يستطيع العدو من قطع المياه عنها.

الهوامش

- (١) محمد بن علي الأكوخ : اليمن الخضراء عهد الحضارة ص ١٣٥.
- (٢) سورة الكهف : آية ٥٧٩٥.
- (٣) محمد بن علي الأكوخ : اليمن الخضراء ص ١٣٦.
- (٤) صحة الأئمة هي قطعة الخشب التي ينقش عليها المسافات بالأهبال والتي تعرف باسم الصوبا. وقد استخدمت منذ العصر الأموي في خدمة البيه، أحمد رمضان أحمد: بيت المقدس والتخليل (مجلة الدارة ١٣٩٨ العدد الأول من السنة الرابعة).
- (٥) ترجع الأمانة بأصولها إلى العراق زمن عبد الله بن ابي سفيان (١٢٧ - ١٣٢هـ) الذي اشتهر بخروجه على عبد الملك بن مروان (الشامي : كتاب السير في رجال الأمانة ص ٧٧، حاصر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٣٥٣ لوزروب ستودارد). ويعتقد الأمانيون انهم الفرقة الناجية في الاسلام من الثلاث والسبعون فرقة التي انقسم اليها المسلمون.
- (٦) مصطفى بن اسماعيل الأمانى : المدينة ص ٨٠) وهم يميلون إلى وحوب وجود إمام يفرد الجماعة بشرط أن يصلح لذلك، وإن الإمامة حق للجميع لا تميز بين عربي وأعجمي متى توفرت فيه الشروط المطلوبة كما يحفظون أنفسهم الحق في عزل الامام والتولية عليه اذا ساءت اموره، (دائرة المعارف الاسلامية مادة الأمانة) ومن تعاليمهم انهم يدينون تحق القرآن، ويؤمنون بالاحتداد بدلا من الاجماع والقياس، (الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٧١).
- (٦) رامدار : معجم الأنساب والأسرات الشافكة في الاسلام ج ١ ص ١٩١ - ١٩٤ (تحقيق: زكي محمد حسن).
- (٧) لوزروب ستودارد : حاصر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٣٥٦.
- (٨) السالي : لغة الأمان ببيت آل عثمان ج ٢ ص ٥٧.
- (٩) عمان الامانية - اصدار مكتب إمامة عمان بالقاهرة - ص ٧.
- (10) Badger, History of the Imams and Seyyids of Oman by Sali Bin Razik. Introduction and analysis. P. IV. P. 27.
- (١١) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ص ١٨ (شركة الزيت العربية الأمريكية).
- (12) Badger : Ibid. Part IV P. 81.
- (١٣) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ص ١٨ (شركة الزيت العربية الأمريكية).
- (14) Badger, History of the Imams and Seyyids of Oman, By Sali Bin Razik. Introduction and Analysis, P. IV P. 24.
- (15) Serjant. op. cit P. 44.
- (16) Heyd : Histoire du Commerce du Levant au Moyen-Age. P.157.

- (١٨) السياسية : اسم السفينة التي تستعمل فيها المسافرين لربط ألواحها والمخصص لأبن سبده، البحرية الإسلامية لسعاد ماهر ص ٢٦٨.
- (١٩) نسبة إلى الريح الموسمية التي تهب على الهند والتي يسميها الأفرنج غللا عن العربية (سعاد ماهر : البحرية الإسلامية ص ١٢٧) عارش (٣).
- (٢٠) اسماعيل سرهنك : سقائى الأخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٣٥.
- (٢١) نفع مدينة سيواف على الشاطئ، الشرقى عند مدخل الخليج العربى وكانت من أقدم المراكز التجارية المزدهرة في العصور الوسطى. وكانت سيواف تلعب نفس الدور الذي تلعبه مسقط في القرن التاسع عشر، وهو نقل التجارة بين المدن الأهلة بالسكان في العراق وفارس، وبين شرق أفريقيا التي كانت تصدر منطقة تصدير هامة لكثير من المواد الخام، وكذلك الهند التي كان لها شأن عظيم في نظام التجارة العالمية بين الشرق والغرب.
- (٢٢) كانت هرمز في أول أمرها مدينة مجاورة لسيواف فلما أقل نجم سيواف وانتقل النشاط التجاري إلى هرمز. لكن هرمز لم تعمر طويلا إذ قضى عليها الغزو المنغولي فاعتصم بحارها بحيرة صغيرة تقع في مواجهة المدينة على بعد خمسة أميال منها وأطلقوا عليها اسم هرمو أيضا واستطاعوا خلال مدة وجيزة أن يؤسسوا لهم دولة من أعظم الدول التي شاعدها المنطقة تراء (تحفة المجاهدين في بعض أسرار البرتغاليين للشيخ زين الدين ص ١٩٧).
- ولم تعد هرمز الجديدة فاصدة على نقل التجارة المحلية فحسب بل أصبحت حلقة هامة في نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب. واستطاعت هرمز بمضي الوقت أن تيسط سلطانها السياسي والتجاري على أجزاء شاسعة من شواطئ الخليج وجزره، امتدت من عمان حتى القطيف عمالا ودخلت جزيرة البحرين وجزيرة قشم في تبعيتها كما ضمت جزيرا كبيرا من الساحل الشرقى. وهكذا كانت هرمز تتكفل بحماية الخليج ضد أي غزو عراقي .. ولما يندر ملاحظته أن هرمز لم تكن دولة فارسية أو عربية بل كانت تضم جميع الحسبب الإسلامية التي تسكن شواطئ الخليج.
- (٢٣) بيوتك رئيس من أشهر قيادات العشائر الذين اكتسبوا شهرة عظيمة وفي عصر السلطان سليمان بين سنة ٩٥٩ هـ دوانا بالبحرية المصرية وقاد اسطول السويس المكون من (٣١) سفينة ووصل به حتى خليج البصرة (الفارسي) وقد ألف أطلسا في حراقة البحر بين ما كانت عليه البحرية العثمانية في ذلك الوقت.
- (٢٤) سرهنك : سقائى الأخبار في دول البحار ج ٣ ص ٤٠.
- (٢٥) صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربى ص ٢٣.
- (٢٦) لقد أنشأ البرتغاليون حصن قشم بعد استيلائهم على جزيرة هرمز وذلك لتأمين موارد المياه في الجزيرة. (Lorimer : Gazetteer of Persia Gulf of Oman).

(27) The Imperial Gazetteer of India. The Indian Empire vol. II P. 455.

(28) Sykes : History of Persia P. 145.

- (٢٩) عائشة علي البكر : دولة البعارة في عمان وشرق إفريقيا (رسالة لم تنشر).
 (٣٠) السالمي : تحفة الأخيار ج ٢ ص ١١.
 (٣١) جمال ركنيا : دولة وسعيد في عمان وشرق إفريقيا ص ٢١.
 (٣٢) صلاح العقاد : زعمار ص ١٧٧.

- (33) Firous : Le Sultanat d'Oman et la Question de Mascat P.P. 59-60.
 (34) Quillain : Exposé critique des diverses nations acquises sur la Afrique Orientale P.5/8.

- (٣٥) السالمي : تحفة الأخيار ج ٢ ص ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .
 (٣٦) كان بمصاحب تميم الأئمة عادة تميم العاصمة.

- (37) Evans : La Civilisation en France au Moyen Age. P. 48.
 (38) Stephenson : Medieval Feudalism, P. 70.

(٣٩) لقد بنيت على هذا الروح بضا بعد تاريخ نشأته وترجمته بالألمانية كما يلي :

«experience.. Zeal and Truth built before me defence of the Cross which defends me, on the order of the Very High and Powerful King Don Philip, third of this name in the year (1610) a.d. [Howley : Oman and its Renaissance P. 115].

(٤٠) وترجمه النص باللغة الألمانية كما يلي عن :

Donald Hawley : Oman and its Renaissance. P. 115. >

In the reign of the very high and mighty Philip first of the name, our sacred King, in the eighth of his reign in the crown of Portugal, he ordered through Don Durate de Menezes his viceroy in India that this Fortress should be built, which Belchoir Alvares built, the First Captain and Founder 1588.

- (41) Hawley : Oman and its Renaissance. P. (124).

(٤٢) هي القلعة الوحيدة التي بناها البرتغال في جزيرة البحرين والتي يطلق عليها أهل الناحية وعاصمة الأرانب منهم اسم قلعة (الفرغى) وقد أقيم قلعة المعراج في القرن السادس عشر. وتقع القلعة على الساحل الشمالي للبحرين على بعد ٣٥ أميال إلى الغرب من قلعة الناحية. وتبلغ القلعة مساحة كبيرة تبلغ قدامين وتبعد عن شاطئ البحر بمقدار (١٥٠) ياردة فقط وترتفع بمقدار (٨٠) قدما عن سطح البحر وتتكون القلعة من شكل مربع الأشكال تتخلله الأبراج على مسافات تكاد تكون منتظمة وبوسطها صحن مربع الشكل وبداخل القلعة بر عميقة محاطة بأحجار مشددة مينة البياض ومثلها قد حفر الآن وأصبحت في حالة سيئة.

- (٤٣) معرودة باع وهو مقياس بحري.
 (٤٤) المعدالي : صفة شبه الجزيرة ص ٥١.